الكتابة العربية بواسطة أرقام الحساب

للدكتور عبد الهادى التازى

في أعقاب شيوع استعمال جهاز التلغراف أواسط القرن الماضى ظهرت فى الأرشيف الدبلوماسى للمغرب وثيقة تتعلق أصلا بموضوع التعليمات التى كانت الحكومـــة المغربية ترسلها — بواسطة التلغراف —

والحديث عن تلك الوثيقة يستدعى منا أن نتناول عـددا من العناصر لإلقاء الضوء عليها ؛ مضمونها كمصدر من مصادر تاريخ المغرب وربمـا من مصادر تاريخ الدول التى كانت لها صلة بالمغرب ، كذلك مركزها ومكانها من الطرق المستعملة من مدن البلاد العربية الأخرى لنقل الرسائل العربية عبر التلغراف .

لكن الذى يهمنا — بهذه المناسبة — هو الحديث عن الدوافع التى كانت تكمن وراء اختراع هـذه الطريقة أو الأحرى الدوافع التى حدت بالدولة آنذاك للاستعانة عـلى أداء الكلمات العربية أو الحرف العربى بالأرقام الغبارية التى تحمل فى الموسوعات العالمية اسم الأرقام العربية (Les Chuffrs Arabes) (Arabic Numbrs)

تعتبر الوثيقة التى بين أيدينا محاولة جريئة فى سبيل تنظيم المواصلات بين المدن المغربية فيما بينها ، وفيما بين المغرب ، وغيره من الدول كذلك حيث أخذ نظام الرقاص فى الاختفاء بالمغرب الأقصى .

وأقصد بالرقاص[1] فى الاصطلاح المغربى موزع البريد، واللفظ — كما نعلم — من المفردات الحضارية التى استعملها المغرب منذ العصر الوسيط ، معتمداً على الاستعمال اللغوي في رقص الناقة القلوص بزجاجة رقصت بمـا فى قعرها ، رقص القلوص براكب مستعجل .

---

(١) توجد منذ 16 ربيع الأول 543 = 4 غشت 1148 قوانين تحدد مهام الرقاص ، ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، تحقيق : د . عبد الهادى التازى ، بيروت 1964 ، ص 123 — ابن القطان : نظم الجمان تحقيق : د . محمد مكى تطوان ، ص 162 .

لقد كان من أبرز مضامين هـذه الوثيقة أنها كانت سبقا تقنيا فى ميدان ضبط الأسماء الجغرافية عن طريق الأرقام .

فلقد سبق هذا الابتكار العربى ـ أكثر من نصف قرن ـ الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية ، إلى التعامل بالأرقام والتوسل بها لاستعمال ما يسمى اليوم بالمصطلح البريدى لضبط المواقع الجغرافية المقصودة ، هذا المصطلح الذى يعرف فى الولايات المتحدة الأمريكية تحت اسم (Zip Coda) كما يعرف فى فرنسا باسم (EDEX) .

بل إنه أى ذلك الاختراع سبق الدول الاسكندنافية إلى اختراع مايسمى « الرقم الشخصى » الذى يعطى للبطاقات الشخصية والذى يحمل هناك اسم (Magnétique) فلقد أخذوا يعطون الأشخاص أرقاما خاصـــة باعتبار أن الأرقام يمكن أن تساعد العقل الاليكترونى فى الوقت المناسب .

لقد أعطت الوثيقة التى بين أيدينا منذ ذلك التاريخ لبعض الشخصيات أرقاما خاصة :

— فرئيس الدولة يحمل رقم 55

— ووزير الخارجية يحمل رقم 67

— ووزير المالية يحمل رقم 150

— والقاضى يحمل رقم 72

— والمحتسب يحمل رقم 74

وقد قدمت لنا هذه الوثيقة شبه قاموس رتبت كلماته وجمله على الترتيب الهجائى المعهود لدى أهل الأندلس والمغرب .

أما عن الدوافع التى حفزت بالمشرفين على الإدارة المغربية إلى اعتماد الكتابة العربية بواسطة الأرقام الحسابية فيمكن أن نلخصها فى الكلمات التالية :

لقد كان المغرب حريصا على مواكبة الركب العالمى فى أواسط القرن الماضى وخاصة بعد احتلال الجزائر من قبل فرنسا عام 1930 حيث أصبح المغرب مهددا فى كيانه أكثر من أي وقت ، وكان المغرب فى نفس الوقت حريصا على التعلق والتمسك باللغة العربية ، ومن هنا كان التفكير فى طريقة تجعلنا نواكب ونحافظ معاً .

لقد ظهر التلغراف ، والمغرب على حال من صراع مرير كان يمارسه على عدد من الجبهات ، وكان عليهم أى المغاربة أن يختاروا بين الاستفادة من ذلك الجهاز الحديث على ما هو ، وحينئذ فإن عليهم أن يقبلوا على تعلم اللغة الأجنبية ويهجروا لغتهم جانبا ، وبين أن يفكروا فى وسيلة عاجلة تجعل المدلول العربى قادرا عـلى أن ينفذ عبر القوالب التى تستوعبها تقنية الجهاز التلغرافى .

وهكـذا وجدناهم يفكرون فى ابتكار طريقة تحتفظ لهم بلغتهم العربية من جهة وتحترم إمكانيات الآلة من جهـة ثانية . وجدناهم يستعينون بشكل ما من الأشكال كان مقبولا فى ملامس جهاز التلغراف وداخلا ضمن حروفه المسبوكة .

ومن هنا وردت فكرة الاستعانة بما نسميه الرقم الغبارى أى الرقم العربى .

وحينئذ وجدت الحكومة المغربية آنذاك أن من السهل عليها الاتصال بجميع الأطراف داخل المغرب وخارجه ، عن طريق الترميز بالرقم :

ونظرا للغموض أو اللبس الذى لاحظ المخترع لهذا الدليل ، أنه قد يتعرض له الشخص الذى يشغل آلة التلغـراف عندما يركب الرسالة بواسطة أرقام متوالية ، تظرا لذلك وجدناه ، يضع شرطة صغيرة تجعل بين الكلمات تمييزا لهـا فيها بينها على نحـو ما يقوم عليه اليوم نظام التفريق بين الكلمات ببعض الفراغ :

ولما شعر صاحب هـذا الاختراع بأن قاموسه قد لا يستوعب سائر أغراض الرسالة ، وجدناه يقدم طريقتين اثنتين أخريين للاستعانة بهما على تقنية التلغراف .

ويتعلق الأمر بالنسبة للطريقة الأولى بعملية تعويض الحروف الهجائية على تواليها بأرقام تبتدىء من (20 إلى 49) أى أن حرف الألف يقابله حرف 20 وحرف الباء رقم واحد وعشرين والتاء كذلك . . الخ .

وهكذا فعوض أن يعطى التعليمات بواسطة حروف المعجم ، تعطى بواسطة الأرقام العربية ، وزيادة فى رفع اللبس فإنه سيكون علينا أن نجعل بين الحروف فواصل . كنا فيما سبق عندما كان الأمر يتعلق بأداء الكلمات والجمل ، نستعمل الشرطة القصيرة بين الكلمات ، ونحن بالنسبة للحروف نكتفى بوضع نقطة حيث يظهر لنا الفرق جليا بين الحالين عند رؤية التلغراف ، وهل أننا بصدد قراءة كلمات أو حروف مركبة .

وفيما إذا حدث أن تعلق غرض الرسالة أو البرقية بذكر رقم من الأرقام فى صلب النص من شأنه أن يربكنا ونحن نعتمد على الأرقام أساسا لأداء الكلمات أو الحروف فى هذه الحالة وجدنا مخترع هـذا الدليل يجرؤ على المطالبة بتحويط الرقم الموجود فى صلب النص بحرف (A) اللاتينى ، فمثلا عندما نجد (A) 297 (A)
فإن القصد يكون إلى سبعة وتسعين ومائتين وليس القصد إلى الرقم الخاص الذى يدل على كلمة (مصر) التى استأثرت بهذا الرقم فى « الوثيقـة » المذكورة على ما أسلفنا أما بالنسبة للطريقة الثانية التى يمكـن أن نسلكها أيضا لأداء الكلمة العربية أو الحرف العربى فهى لا تعتمد فقط عـلى الأداء بالرقم العربى . ولكنها تذهب إلى أبعد من ذلك ، أى أنها تستعين بالحرف اللاتينى ،

وليس معنى هذا أن الحرف العربى فى التلغراف يقابل بحرف لاتينى من نوع صوت الحرف العربى كما نستعمله اليوم فى التلغرافات العربيـة المكتوبة بحروف لاتينية ، ولكن بحرف لاتينى مـا يصطلح عليه . . .

ومعنى كل هذا أنه كان هناك شعور بالحاجة الملحة إلى أن نجد وسيلة ما لتبليغ الرسالة العربية لتبليغ النبأ العربى عبر جهاز التلغراف ، الذى كنا نجـد أنفسنا مضطرين إلى الاستفادة منه حتى نظل كما قلت مواكبين لمستجدات العصر . . .

أيها السادة الزملاء الأعزاء .

لقد كان قصدى من تقديم هذا الجانب من تلك الوثيقة (التى أتشرف بتقديمها لكم اليوم) هو وضع السؤال التالى :

هل إننا بعـد التجارب التى مررنا بها طيلة السنوات الخالية ، بحاجة إلى التفكير الجدى ، فيما يؤمن اقتحام الحرف العربى للآلات الإلكترونية ؟ وهـل أننا بحاجة إلى تصور دقيق لما نحن مقبلون عليه فى عالم الألفين .

أرجو بهذه المناسبة أيها السادة الزملاء ، ونحن نحتفل بهذا العيد السعيد وبحضور السادة رؤساء المجامع والأكاديميات العربية .

أرجو أن أذكر هنا بأننا منذ عشرات السنين ما نزال لم نتفق على طريقة لأداء الحرف العربى ، بالحرف اللاتينى أداء سليما نرضى عنه بإجماع ونقدمه إلى المنتظم الدولى باتفاقنا جميعاً .

فقبل ست سنوات عرضت فى أثينا على أنظار المؤتمر العالمى الثالث لتنميط الأسماء الجغرافية التابع للأمم المتحدة (ECOSOC)

مسألة أداء الحرف العربى بالحرف اللاتينى :

ربما تتساءلون : لماذا عرض هذا الموضوع على أنظار هـذا المؤتمر الذى يهتم أصلا بالأعلام الجغرافية ؟

والجواب أن ذلك كان نتيجة لانتصار المجموعـة العربية التى أتشرف بترؤسها فى المؤتمـر المذكور ، انتصارها فى فرض كتابة الأعلام الجغرافية العربية بشكلها الصحيح على سائر الخرائط الجغرافية الأجنبية المنشورة على المستوى الدولى .

أى أننا سوف لا نقرأ من الآن فى الخرائط الأجنبية كلمة لاميك (La Méque) عوض مكة ، ولا (داماس) عوض دمشق و (لوكير) عوض القاهرة و(ربا) عوض الرباط .

إن الذى حصل أيها السادة المجمعيون هـو أننا بعد أن استمزجنا الرأى مع سائر الدول العربية ، وبعد أن أدلت كل جهة برأيها . . . اجتمعنا فى جنيف فى المؤتمر الرابع فى السنة الماضية لنجـد أن الذين اتفقنا معهم فى (أثينا) هم غيرهم الذين أعطوا الرأى فى جنيف . أنتم تعلمون أن هناك الطريقة التى سلكها علماء الموسوعة الإسلامية ، وهناك الطريقة التى أصبحت فى المؤتمر المذكور رسم (نظام بيروت Brout Sistème) والطريقة التى تحمل كذلك نظام لندن المعدل وهناك نظام (ISO) الخ .

إن بعض العرب الذين كانوا متأثرين بالوجود البريطانى فى بلادهم لا يتنازلون للطريقة التى تأثر بها العرب الآخرون الذين كانـوا متأثرين بالوجود الفرنسى مثلا : ومن هنا فنحن ما نزال نتخبط فى الوصول إلى الطريقة الواحدة التى توصلنا إلى التمتع بذلك المكسب : مكسب اقتحام العلم الجغرافى الحقيقى للمجتمعات الدولية .

أعترف أمامكم أيها الزملاء المحترمون أننى كنت أشعر بالخجل يلفنى وأنا أمثل فى تلك المؤتمرات وجهات نظر مختلفة متشتتة حول كيفية أداء الحرف . . بينما أرى أن المجموعات الأخرى اتفقت على طريقة موحدة لأداء الحرف الصينى والروسى . .الخ .

لهذا فإننى أغتنم هذه الفرصة لأتقدم بتوصية تدعو إلى لقاء عاجل قبل عام 1986 الذى سيشهد فى مونتريال المؤتمر السادس الذى ينتظر منا القول الفصل فى هذه القضية :

فما غيركم – أيها الزملاء – جدير باتخاذ المبادرة للوصول إلى هـذا الاتفاق . . . وتحت يدى الملف الكامل الشامل لهـذه القضية التى تعتبر من القضايا الأولى للمؤتمر الدولى ، سواء على مستوى خبرائه الذين يجتمعون على رأس السنتين أو على مستوى أعضائه الذين يجتمعون على رأس الأربع سنوات .

إن المغرب ليقوم الآن بخطوات رائدة من أجل العمل على اقتحام الحرف العربى للأجهزة المعيارية بجميع أنواعها وتسخير هـذه الأجهزة لفائدة ازدهار اللغة العربية وانتشارها وتعميمها ورفع مستواها ، تحت إشراف معهد الدراسات والأبحاث للتعريب الذى يديره الأستاذ أحمد الأخضر غزال :

ويطيب لى أن أعرب عن أملى الكبير فى أن نحظى بهـذا الاجتماع على أرض المغرب بحول الله .

فإلى أن نلتقى جميعا حول هذا الموضوع ، أتمنى للسادة الزملاء موفور الصحة والعافية والسلام .

الدكتور عبد الهادى التازى
عضو المجمع من المغرب